هذا كالتكملة لقوله (وأرسلناك للناس رسولا) باعتبار ما تضمنه من رد اعتقادهم أن الرسول مصدر السيئات التي تصيبهم ثم من قوله (ما أصابك من حسنة فمن ا) الخ المؤذن بأن بين الخالق وبين المخلوق فرقا في التأثير وأن الرسالة معنى آخر فاحترس بقوله (من يطع الرسول فقد أطاع ا) عن توهم السامعين التفرقة بين ا ورسوله في أمور التشريع فأثبت أن الرسول في تبليغه إنما يبلغ عن ا فأمره أمر ا ونهيه نهي ا وطاعته طاعة ا وقد دل على ذلك كله قوله (من يطع الرسول فقد أطاع ا) لاشتمالها على إثبات كونه رسولا واستلزامها أنه يأمر وينهى وأن ذلك تبليغ لمراد ا تعالى فمن كان على بينة من ذلك أو كان في غفلة فقد بين ا له اختلاف مقامات الرسول ومن تولى أو أعرض واستمر على المكابرة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي حارسا لهم ومسؤولا عن إعراضهم وهذا تعريض بهم وتهديد لهم بأن صرفه عن الاشتغال بهم فيعلم أن ا سيتولى عقابهم .

الأرض في سعى تولى وإذا) تعالى قوله في تقدم وقد والإدبار الانصراف حقيقته والتولي A E ليفسد فيها) وفي قوله (ما ولاهم عن قبلتهم) في سورة البقرة . واستعمل هنا مجازا في العصيان وعدم الإصغاء إلى الدعوة .

ثم بين أنهم لضعف نفوسهم لا يعرضون جهرا بل يظهرون الطاعة فإذا أمرهم الرسول أو نهاهم يقولون له (طاعة) أي : أمرنا طاعة وهي كلمة يدلون بها على الامتثال وربما يقال : سمع وطاعة وهو مصدر مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف اي أمرنا أو شأننا طاعة كما في قوله (فصبر جميل) . وليس هو نائبا عن المفعول المطلق الآتي بدلا من الفعل الذي يعدل عن نصبه إلى الرفع للدلالة على الثبات مثل (قال سلام) إذ ليس المقصود هنا إحداث الطاعة وإنما المقصود أننا سنطيع ولا يكون منا عصيان .

ومعنى (برزوا) خرجوا وأصل معنى البروز الظهور وشاع إطلاقه على الخروج مجازا مرسلا .

و (بينت) هنا بمعنى قدر أمرا في السر وأضمره لأن أصل البيات هو فعل شيء في الليل والعرب تستعير ذلك إلى معنى الإسرار لأن الليل أكتم للسر ولذلك يقولون : هذا أمر قضي بليل أي لم يطلع عليه أحد وقال الحارث بن حلزة : .

أجمعوا أمرهم بليل فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء وقال أبو سفيان : هذا أمر قضى بليل . وقال تعالى (لنبيتنه وأهله) أي : لنقتلنهم ليلا . وقال (وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) . وتاء المضارعة في (غير الذي تقول) للمؤنث الغائب وهو الطائفة ويجوز أن يراد خطاب النبي A أي غير الذي تقول لهم أنت فيجيبون عنه بقولهم : طاعة .

ومعنى (وا يكتب ما يبيتون) التهديد بإعلامهم أنه لن يفلتهم من عقابه فلا يغرنهم تأخر العذاب مدة . وقد دل بصيغة المضارع في قوله (يكتب) على تجدد ذلك وأنه لا يضاع منه شيء .

وقوله (فأعرض عنهم) أمر بعدم الاكتراث بهم وأنهم لا يخشى خلافهم وأنه يتوكل على ا (وكفى با وكيلا) أي متوكلا عليه ولا يتوكل على طاعة هؤلاء ولا يحزنه خلافهم .

وقرأ الجمهور (بيت طائفة) بإظهار تاء (بيت) من طاء (طائفة) . وقرأه أبو عمرو وحمزة ويعقوب وخلف بإدغام التاء في الطاء تخفيفا لقرب مخرجيهما .

(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافا كثيرا [82]) .

الفاء تفريع على الكلام السابق المتعلق بهؤلاء المنافقين أو الكفرة الصرحاء وبتوليهم المعرض بهم في شأنه بقوله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) وبقولهم (طاعة) ثم تدبير العصيان فيما وعدوا بالطاعة في شأنه . ولما كان ذلك كله أثرا من آثار استبطان الكفر أو الشك أو اختيار ما هو في نظرهم أولى مما أمروا به وكان استمرارهم على ذلك مع ظهور دلائل الدين منبئا بقلة تفهمهم القرآن وضعف استفادتهم كان المقام لتفريع الاستفهام عن قلة تفهمهم . فالاستفهام إنكاري للتوبيخ والتعجيب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبير لديهم